Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جيمس » يشارب جماعة من صحبه كما هى عادته ، فرأى بعضهم أن يمضوا الليل فى صالة رقص أو غناء أو نساء ، ولكنه لم يجد من حواسه ميلا الى تلك المتع ، فودع صحبه ، وتلفت يمنة ويسرة فى حيرة ، ثم استقل سيارته البيضاء الصغيرة ، وانطلق بها على غير هدى ، وساقه التخبط الى العباسية ، ودفعته العباسية الى صحرائها الشرقية ، ولفتت ناظريه أنوار خافتة تنبعث الى أنفه رائحة « التمباك المعسل » فانقشع عنه كابوس السأم . ووقفت السيارة أمام مدينة الصفائح ، وبالغ صاحب القهوة فى اكرامه ، واستأذنه فى سماع غناء بلدى فأذن له .

ويشعر محفوظ أن قصة : « الجوع » تبنى على المصادفة ، فيشير الى ذلك على لسان الوجيه : « وتحول عنه ومضى فى طريقه متفكرا .. يعجب كيف أنه أتى فى الوقت المناسب ليعفى أباه من وزر ثقيل . وكان ينطوى فى قرارة نفسه على سذاجة فأيقن أن ما ساقه الى الرجل فى الوقت المناسب شىء أكبر من المصادفة ، فأثلج صدره وشعر بارتياح وطمأنينة » وهذه المصادفة تحمل بين طياتها شعورا دينيا عميقا . ولا نعرف لماذا قرر المؤلف أن الوجيه « كان ينطوى فى قرارة نفسه على سذاجة » . على أية حال فقد تحولت هذه السذاجة الى « اليقين الدينى » فى أعماله اللاحقة . كما ظهرت المصادفة فى كثير من قصصه ، وعليها اعتمدت قصة : « علم ساعة » وذلك قبل أن تتخذ سماتها الفلسفية فى نتاج ما بعد : « أولاد حارتنا » .

★★★

نعود الى سؤال : « هل حقا كنت عاملا مرتزقا ؟! .. » لنواجه بمشكلة الازدواج اللغوى منذ البداية . فنحن لا نعرف ان كان الوجيه قد قال : « مرتزقا » أم قال : « أرزقيا » وترجمها نجيب محفوظ ـ كعادته منذ بداية مسيرته الفنية ـ من العامية الى الفصحى . فاذا كانت الثانية فهى لفظة ما زالت تعبش بين ظهرانينا ، ولها مفهومها الحسن الذى يدل على السعى وراء الرزق مع التوكل على الله مقسم الأرزاق . أما اذا كانت الأولى بظلالها التاريخية المعروفة منذ تكوين فرق الجنود المرتزقة . فهى دلالة أخرى على نظرة الأغنياء للفقراء . والمسألة تثير قضية الازدواج اللغوى من خلال لفظة عامية تتسابى على الترجمة الفصيحة . وقد أبدع محفوظ أعماله العظيمة من خلال الفصحى سردا ، والترجمة من العامية الى الفصحى سردا وحوارا . لكن ذلك لم يجعله قط يحجر على حرية الأديب .

وهذا ما صرح به فى حواره مع فؤاد دوارة حينما سأله : « يقول الأديب الانجليزى « دزموند ستيوارت » فى مقال نشر له بعدد ديسمبر الماضى من مجلة (المجلة) : « ان التزام نجيب محفوظ للفصحى فى كتابة